الفونغراف

﴿ لمحة تاريخية ﴾

نحن في عصرٍ اصبحنا نشاهد فيهِ بالحسّ ما كان الذين قبلنا يتمثلونهُ بالوهم وتجسمت لنا فيهِ الاشباح الخيالية التي لم يسبق لها وجود الا في الاساطير والخرافات فاصبحنا نلمسها بالبنان ونراها رؤية العيان ونسمعها سمع الآذان بل اصبحنا في هذا العهد نشافه الغائبين على مسافة مئاتٍ من الاميال ونسمع لفظ الذين طوتهم الارض منذ آمادٍ طوال بل نرى الجماد من المعدن او الشمع يتكلم ويغنّي ويضحك ويبكي الى ما شاكل ذلك من الافعال

وقد جآء في الامثال ان الحاجة امّ الاختراع فلا جرم ان الانسان لم يزاول صنع شيء من الآلات والمرافق الا بعد ان تمثلت لهُ الحاجة اليهِ ثم اعمل المخيّلة في تصويرهِ فربما مثلتهُ لهُ في شكلٍ من المستحيلات ثم لا يزال ذلك الامر وكدهُ يعاودهُ الحين بعد الحين حتى يبلغ امنيتهُ منهُ ولو بعد ازمان

ولقد كان وجود آلةٍ او ذريعة من مزيّتها حفظ الكلام ونقلهُ من موضع الى آخر مما تخيل للانسان قبل اختراع الفونغراف بزمان طويل ووُجدت صورتهُ في العقول قبل ان تصوّرهُ الصناعة وتمثل وجودهُ للحِسّ الا انهُ ما زال معتبراً من الاوهام الباطلة والامانيّ الفارغة لبعدهِ عن البداهة الى ان تمّ اختراعهُ في العهد الاخير وانتشر استعمالهُ بين خاصةّ

الناس وعامتهم فاصبح شيئاً مألوفاً

واول ما يُذكر من تخيُّل شبَه الفونغراف ما نُقل عن الغازِيت ساتيريك التي كانت تطبع في فرنسا فقد جآء في احد اعدادها سنة ١٦٣٢ ما تعريبهُ

« قد عاد الربّان فُستَرلُوخ من سياحتهِ في النواحي الجنوبية وقد حدثنا بما شاهدهُ في تلك الآفاق البعيدة من الغرائب وفي جملتهِ انهُ نزل ببلد وجد فيهِ ضرباً من الاسفنج يمسك الاصوات والالفاظ كما يمسك الاسفنج المآء وان اهل تلكِ الناحية اذا ارادوا ان يبلّغوا امراً الى جهةٍ من الجهات او يستفهموا عن امرٍ عمدوا الى بعضٍ من هذا الاسفنج فتلوا عليهِ الكلام الذي يريدون ان يقولوهُ وارسلوهُ الى المكان المراد انهآء الكلام اليهِ فاذا بلغ الى المرسل اليهم تناولوهُ وضغطوا عليهِ برفق فيخرج اليهم كلّ ما أُودعهُ من الكلام وبهذا يعلمون كل ما اراد مرسلوهُ ان يقولوهُ لهم »

ومن ذلك ما جآء في الكتاب المعنون بالسحر الرياضي لمؤلفهِ جُون وِلكِنس اسقف شِستر من اهل القرن السابع عشر وهو من مشاهير علمآء الطبيعة واحد مؤسسي الجمعية الملكية بلندرة فقد وردت فيه العبارة الآتية

« يزعم وَلشيوس ان من الممكن حفظ الاصوات المنطقية بتمامها إما في صندوق او في انبوب بحيث يُسدّ عليها سدًّا محكماً فاذا فُتح الصندوق او الانبوب بعد ذلك خرجت الكلمات على ترتيبها كما نُطق بها . وهذا على حدّ ما يُحكَى من انهُ في بعض النواحي من اقاصي الشمال يتجلد الكلام وهو خارج من فم المتكلم فلا يمكن ان يُسمَع قبل الصيف التالي الا اذا

حدث انحلالٌ في الجليد غير منتظَر »

قلنا ومن الحكايات التي تُروَى عندنا على سبيل التنكيت ان اهل بلد كذا وقعت بينهم مشاجرة وارادوا ان يرفعوا خصومتهم الى الحاكم لينصف بينهم ولم يكن فيهم من يحسن الكتابة فعمدوا الى جرّةٍ وجعل كل فريقٍ يسرد حجتهُ في الجرّة ثم سدّوها وارسلوها مع اثنين منهم الى الحاكم. فلما عرف الحاكم القصة ضحك من حمقهم وقال للرسولين عُودا اليَّ في الغد فتأخذان الجواب وارسل من جمع لهُ طائفةً من النحل فجعلها في الجرّة وسدّ عليها . فلما عاد الرسولان في اليوم الثاني دفع اليهما الجرة وقال لهما لا تفتحاها الا بمحضر الفريقين . وكان القوم في الانتظار فلما انتهت اليهم الجرّة وسمعوا دويّ النحل لم يشكّوا ان ذاك كلام الحاكم فاجتمعوا حولها ثم فتحوها فخرج اليهم النحل فتفرقوا من وجهٍ وقد نال كلٌّ منهم نصيبهُ

واغرب من ذلك كلهِ ما جآء في كلام سيرانُو دُبَرجُراك في كتابهِ المعنوَن بالسفَر الى القمر وهو من اهل القرن السابع عشر ايضاً فقد ذكر ان جنيّاً دفع اليهِ كتاباً في هيئة علبة قال « فلما فتحتهُ وجدت فيهِ شيئاً من المعدن لا اعلم ما هو يشبه الساعات عندنا مملوءًا ببعض نوابض صغيرة وآلاتٍ اخر دقيقة لا اعلم ما هي. وهو على الحقيقة كتاب لكنهُ كتاب عجيب لا ورق فيهِ ولا حروف وفي الجملة فهو كتاب اذا اريدت قرآءتهُ لم تُستخدَم في ذلك العينان ولكن يُقرأ بالاذنين . فاذا اراد احدٌ ان يقرأ فيهِ يعصب هذه الآلة بعددٍ كبير من العصب الدقيق ثم يدير الابرة حتى تقع على الفصل الذي يريد ان يسمعهُ فللحال تخرج منهُ جميع الاصوات المختلفة

التي يتخاطب بها اهل القمر كما تخرج من فم انسان او من آلة موسيقية »

فلا جرم انك اذا تأملت هـذا الوصف وجدت انهُ اقرب شيء الى وصف الفونغراف ولكن مع ذلك فان هذا التخيل لبث مطوياً مدة قرنين حتى خرج الى الوجود. وذلك ان اول آلةٍ قُصِد بها مزاولة ما يؤدّي وظيفة الفونغراف كان اختراعها سنة ١٨٥٧ وهي الآلة المسماة بالفونوتغراف ومعناهُ الصوت الذي يرتسم من تلقآء نفسهِ ومخترعها رجلٌ فرنسوي من المشتغلين بالطباعة يقال لهُ ليون سكوت . وهي آلة مؤلّفة من قمعٍ سمعيّ كبير شلجمي الشكل في قعرهِ غشآءٌ رقيق وامامهُ اسطوانةٌ من زجاج تُطلَى بالسناج وتدور على نفسها بواسطة آلة مثل آلة الساعة . ويتصل بالغشآء المذكور مِرقم يقع طرفهُ على جدار الاسطوانة فاذا تكلم انسانٌ في القمع تحرك الغشآء بحركة الصوت فدفع المرقم فخطّ السناج الذي على الاسطوانة وارتسمت عليها اهتزازات الصوت . الا ان اختراعهُ لم يتعدَّ ما ذُكر من رسم الصوت لان المخترع لم يكن في يدهِ ما يُتمّ بهِ اختراعهُ فلم يلبث ان ذاع امرهُ وانكشف سرّهُ وهو على هذا الحدّ

واتت على هذا الاختراع عدة سنوات بدون ان يخطر لاحدٍ ان يزاول اتمام العمل بعكسهِ اي ان يحيل الرسم الى صوتٍ مسموع بعد ان احيل الصوت الى رسمٍ منظور حتى كانت سنة ١٨٧٧ فرفع شارل كرُو الى ندوة العلوم الفرنسوية درجاً مختوماً تُلي في احدى جلساتها من اواخر تلك السنة يتضمن وصف طريقة لجعل ذلك الرسم ينشأ عنهُ صوت يحكي الصوت الاصلي وسمى الآلة التي تمثلت لهُ باليوفون ومعناهُ صوت الماضي

وسماها الاب لُبلان بالفونغراف اي رسم الصوت وهو اسمها الباقي الى اليوم . الا ان شارل كرُو لم يهتمّ بابراز هذا الاختراع في ثوبهِ الصناعيّ فتولى ذلك المسيو برلينر من اهل واشنطن في آلةٍ سماها بالغراموفون وهي على نفس الصفة التي تمثلت لشارل كرُو

ثم انهُ بعد ما فضَّ درج كرُو بستة اسابيع اي في ١٥ يناير سنة ١٨٧٨ طلب توما أَدِسُن تسجيل اختراعهِ للفونغراف وفيما حققهُ بعضهم انهُ لم يزد في هذا الاختراع على ان نقح شيئاً قليلاً في فونوتغراف سكوت فاستخرج منهُ الفونغراف . واول فونغراف صنعهُ أدِسن هو اليوم في دار الآثار في سوث كنسنجتن وكان غير صالح للاستعمال لكثرة ما فيهِ من النقص فان الصوت فيهِ كان يخرج اغنّ غير واضح الطبقة ولا النغمة وبعض المقاطع كالراء تأتي شديدة يضحك منها السامع وبخلافها احرف المدّ فانها كانت لا تكاد تُسمَع فكان يقتضي اذناً دقيقة التمييز بين الاصوات حتى تثقف الكلمات التي تخرج بين ذلك الهدير . وكانت صفيحة القصدير التي ترتسم عليها الاصوات سريعة التغيُّر لا تمكّن من تكرار سماع الكلمات الا مرات قليلة . وعلى الجملة فانهُ لم يكن الا بمنزلة نموذج ومبدأ للاختراع الصحيح وهو ما جهد فيهِ ادسن بعد ذلك زمناً فلم يفلح حتى اوشك ان ييأس منهُ وانقطع عن اداء رسم الامتياز الذي نالهُ من حكومة انكلترا واصبح امتيازهُ بعد حين نسياً منسياً كما نُسي الاختراع من اصلهِ ولم يبقَ لهُ من فائدة الا الامتحان احياناً في الدروس الطبيعية

وبعد ان اتى على ذلك ثمانية عشر شهراً وُفق ادسن الى تصحيح

فونغرافهِ فرفعهُ الى ندوة العلوم وكان لا يزال فيهِ نقصٌ يسير ولكنهُ بشر بالنجاح الموكد . وكان في اثناء ذلك البروفسور تنتر من علماء واشنطن يمتحن صنع مادة لرسم الاصوات فوُفق الى تركيب من الشمع جامع بين اللين والتماسك بحيث يمكن ان يستعاد بهِ الصوت مراراً كثيرة ولا يعرض عليهِ تغيرٌ فاتخذ أدِسن هذه المادة واستخدمها عوض صفيحة القصدير وعمد الى تركيب باقي الآلة فاصلح فيهِ واحكمهُ

وفي الوقت نفسهِ كان غراهام بَلّ مخترع التلفون يزاول صنع آلةٍ من هذا القبيل سماها الغرافوفون وهي لا تختلف عن الفونغراف الا في امورٍ عَرَضية اخصّ ما فيها الآلة المحرّكة فان الفونغراف تحركهُ آلةٌ كهربائية بها تدور الاسطوانة على محورها وتتحرك الى الامام والغرافوفون يتحرك بآلةٍ ذات دواليب تُدار بالرجل كما في آلة الخياطة

ثم ان برلينر كان لا يزال يعالج اختراعهُ المسمى بالغراموفون وهو ينوي ان يعارض بهِ اختراع أدِسن فتوصل الى اعادة الصوت على وجهٍ اتمّ مما يعيدهُ الفونغراف واكثر مطابقةً للصوت المعاد . وقد استبدل الاساطين بصفائح مستديرة ترتسم عليها الاهتزازات الصوتية في دوائر متتابعة بعضها في ضمن بعض وقد تقدم لنا وصف هذه الآلة في السنة الرابعة من الضياء (ص ١٧٩) . لكن الرسم على هذه الطريقة لا يخلو من صعوبة وبالتالي يقتضي ان تكون هذه الآلة غالية الثمن ولذلك لم يتمّ استعمالها عموم الفونغراف والغرافوفون

ومع ذلك فلا يزال الجهد متواصلاً لتحسين حالة الفونغراف وتخليص

الصوت من كل ما يشوبهُ من الغُنَّة واختراع موادّ للاساطين تكون اطول صبراً على الاستعمال. ولا ريب انهُ بعد بلوغهِ المبلغ الحالي من الكمال ومع ادمان المزاولات والتجارب المتتابعة لا يكون هذا النقص الباقي الا عقبةً يسيرة يؤمل قطعها بعد زمنٍ قريب

﴿ عيد الشمس ﴾

لهؤلآء الفرنسيس بِدَعٌ غريبة لا تجدها عند سائر امم الارض الا ان يكون شيءٌ منها في بلاد اميركا ارض الغرائب فهم مولعون بالجديد من الامور وربما انتهوا في بعضهِ الى اعادة القديم الذي انقطع عهدهُ منذ قرون

وقد فاجأ العالم المتمدن في هذه الايام نبأ احتفالهم بعيدٍ للشمس اقاموهُ في باريز في أثنآء الشهر الماضي فاجتمع اعاظم علمآء الهيئة منهم وجمهورٌ كبير من اعضآء الندوة الفلكية في برج أيفيل الشهير بدعوةٍ من صاحب البرج وقد صنع لهم مأدبةً شائقة جمعت كل انواع الطيبات واصناف المسرّات وضروب الزينة. وكان المحتفلون ٤١٨ شخصاً فخطب الخطبآء وانشد الشعرآء القصائد الرنانة ولبثوا في اجتماعهم ذاك الى مطلع الشمس فكانت ليلةً بهيجةً رنّ ذكرها في آفاق اوربا واميركا وتناقلت وصفها الجرائد الفرنسوية وغيرها . وكان اهمّ ما جرى في تلك الليلة الخطبة التي تلاها المسيو فلاماريون مقترح هذا العيد وهي طويلةٌ ضمّنها اغراضاً مختلفة فرأينا ان نلخص منها ما يحسن وقعهُ لدى القرآء ويمكن ان تُتناول منهُ فائدة علمية او تاريخية قال

في هذا اليوم الذي هو الحادي والعشرون من شهر يونيو في الساعة التاسعة من المسآء تبلغ الشمس اعلى نقطةٍ من فلكها الظاهر وتنتهي الى مُعظَم انحرافها شمالاً وهو منقلبها الصيفيّ . وهذا اليوم هو اطول ايام السنة في هذه العروض واقصرها ليلاً بحيث ان هذه الليلة في باريز لا يكون فيها ظلامٌ كامل حتى في منتصف الليل لان الشمس بعد نزولها ورآء افقنا لا تبلغ ١٨ درجة تحت الافق وبسبب تكسُّر النور وانعكاسهِ عن اعالي الجوّ يبقى لها شفقٌ ضعيف يستمرّ الى نصف الليل ومن هناك تتصل حمرتهُ بحمرة الفجر . اما في العروض البالغة ٦٦° فما فوق فان الشمس لا تغيب اصلاً ولكنها عند منتصف الليل تمسح الافق مسحاً وفي هذا الوقت توقد نار القديس يوحنا ايذاناً بعيد الشمس القديم

ولست ازيدكم علماً ان هذه النار كانت توقد ايام عبادة الشمس غير انها استمرّت بعد ذلك على عهد النصرانية وقد لبثت مدة قرون كثيرة توقد في جميع ايالات فرنسا وفي باريز نفسها . فكانت تُنصَب في ساحة غِرّاف وهي ساحة الاوتيل دُفيل اليوم شجرةٌ يابسة تُعَدّ للاحراق وكان ملك فرنسا يأتي مصحوباً بجميع رجال بلاطهِ لشهود هذا الاحتفال وكان على الغالب هو بنفسهِ يضع النار في الشجرة . وآخر من شهد ذلك من الملوك لويس الرابع عشر ثم كانت الثورة فنسخت هذا العيد

وقد كانوا في الزمن القديم يجرون هذا الاحتفال على صورة وحشية فكان من عادتهم ان يعلقوا فى هذه الشجرة برميلاً او كيساً او زبيلاً كبيراً مِلأونهُ بالهِرَرة ثم يشعلون النار في الشجرة فتحترق تلك الهِرَرة

وهي حيَّة فيتلذذون بصراخها. ولقد وُجد في سجلَّات باريز صكّ كُتب سنة ١٥٧٣ مفادهُ انهُ قد دُفع الى لوقا پومرُوّ احد مستخدمي البلدية ١٠٠ صلدي باريزي في مقابلة تجهيزهِ الهرَرة اللازمة للنار المذكورة على مدة ثلاث سنوات وجلبهِ ثعلباً في السنة الاخيرة لمسرّة جلالة الملك مع الكيس الذي وُضعت فيهِ الهرَرة

وهذه النار لا تزال الى اليوم تُوقَد في بعض ايالات فرنسا في ٢٣ و ٢٤ من هذا الشهر وقد شهدتها مرةً في موضع لا يبعد كثيراً عن جُوڤيزيّ وكانت الشجرة منصوبةً في ساحة الكنيسة فبعد غروب الشمس اقبل القسيس يحفّ بهِ الولدان المرنمون فبارك الشجرة المقدسة ثم وُضعت فيها النار واخذ فتيان المدينة وفتياتها يطوفون حولها وهم يتغنون ويرقصون . ولما هوت الشجرة الى الارض وقد اصبحت جذوةً مستعرة اخذت العذارَى يثبنَ من فوقها فأيهنّ كانت اعلى وثبةً كانت اسبق زواجاً . وبعد ما طَفِئت تسابق الحاضرون الى فحمها ليستصحبوا منهُ الى مساكنهم لان من مزيتهِ ان يصرف الصاعقة عن المنزل

على ان الرومان الغاليّين من مدة خمسة عشر قرناً والدرويد منذ الفي سنة وعبّاد مِثرا (الفُرس) منذ ثمانية وعشرين قرناً والمصريين منذ اربعة آلاف سنة والهنود من نحو ذلك العصر والكلدان من قبل ذلك العصر ايضاً وهم عبّاد الاله سامَس (الشمس) كانوا جميعاً يحتفلون بعيدٍ للشمس وللنار التي هي رمزٌ اليها وعلى الجملة فان عبادة الشمس وُجدت منذ وُجد الانسان . اما اليوم فان التمدن الحديث مع فوائدهِ الكثيرة لم يزل

بما فيهِ من التمويهات والزخارف يبعدنا شيئاً فشيئاً عن سذاجة الطبيعة . ونحن وان لم نوافق جان جاك روسّو في تمنيهِ ان يرجع بالانسان بعض الشيء الى الحالة الوحشية فانا نستطيع ان نوكد اننا ابعد عن الحقيقة الصرفة من معاصري سقراط وافلاطون ومن فُرس آسيا القديمة وإنكاس اميركا الاولى ممن كانت اعياد الشمس عندهم تقام باحتفال فخيم

والآن فانَّا باجتماعنا في قمة اعلى مرصد في عاصمة فرنسا للاحتفال بعيد الانقلاب الصيفي كاننا نعاود وصل السلسلة التي تجمع بيننا وبين التذكارات التاريخية القديمة وبدون ان نجدد عبادة الشمس على طريقة هليوجبَل او ان نكون من الفُرس الحاليّين او من شيعة زُورُوَسْتر فانهُ لا مانع من ان نحيي موضوع ذلك التذكار المدفون منذ دهرٍ طويل ولا ريب ان أوان المنقلب الصيفي هو ابهج اوقات السنة وفيهِ يقف كوكب الحياة ليدعونا الى ان نقدرهُ القدر الذي يستحقهُ

ولا بأس هنا ان نذكر بعض الشيء مما يدل على قوّة الشمس وعظمتها فهي قائمة في مركز العالم التابع لها ومتوسط بعدها عن الارض ١٤٩ مليون كيلومتر وهي مسافة لا نستطيع ادراكها بمجرد التصور لكن لتقريب ذلك على الافهام اذكر لهُ بعض مقايساتٍ عاميّة . فانَّا اذا اردنا ان نسافر الى الشمس لزمنا جسرٌ مؤلف من ١١٦٤٠ ارضاً مثل ارضنا الواحدة فوق الاخرى واذا اردنا قطع هذه المسافة على قطارٍ يجري بسرعة ٦٠ كيلو متراً في الساعة لزمنا ان نسافر مدة ١٤٩ مليون دقيقة اي ١٠٣ ٤٧٢ يوماً او ٢٨٣ سنة

واذا امكن ان يمدّ احدنا يدهُ حتى تلمس الشمس وتحترق بنارها — وتقدَّر سرعة انتقال الشعور على العصب بثمانية وعشرين متراً في الثانية — فلا يشعر بالاحتراق الا بعد ١٦٧ سنة. واذا قُذفت كُرَة مدفع بسرعة ٥٠٠ متر في الثانية واستمرّت على هذه السرعة لم تصل الى الشمس الا بعد عشر سنوات

وهذه امثلةٌ فرضية ذكرتها ليُتصور منها البعد الهائل الذي بيننا وبين الشمس وانهُ على هذا البعد فان هذه الكرة العظيمة التي هي اكبر من الارض بنحو الف الف ومئتين وثمانين الف مرة واثقل منها باربعة وعشرين الف مرة تضبطنا بغير ان نستطيع ان نفلت منها وتديرنا من حولها مثل حجرٍ في مقلاع بسرعة تزيد على ١٠٠٠٠٠ كيلومتر في الساعة او ٢٥٠٠٠٠٠ كيلومتر في اليوم . وفضلاً عن ذلك فانها ترسل الينا حرارتها على الدوام بحيث ان كل حياة في الارض انما هي قائمة بها وان جميع القوى العاملة في الارض من الكهربآئية والمغناطيسية والبخار والانهار والثلوج والسحب والسيول والينابيع والعواصف والرياح والامطار والنباتات والازهار والثمار والاعطار والحياة النبآتية والحيوانية كلها مستمَدّة من قوة الشمس واذا طَفِئت الشمس توقفت كل هذه للحال . ومع ذلك فان الارض لا تنال الا نصف جزء من مليار جزء من عامّة اشعّة الشمس لانا لو فرضنا كرةً محيطة بالشمس على بعد ارضنا لم يشغل موضع الارض من هذه الكرة الا نصف جزء من مليار وهي نسبةٌ يعجز ادراكنا عن تصوّرها

اما حرارة الشمس فتقدَّر بنحو ٦٥٠٠ درجة ولكن هذه العبارة

لاتكفي لتصوُّر طبيعة حرارة الشمس التي هي مصدر الحرارة والنور والكهربائية والمغناطيسية أو التي ليست في شيء من ذلك كلهِ انما هي عبارات عن شعورنا الانساني اذ الحقيقة انهُ لا حرارة هناك ولا نور ولا كهربائية في الحدّ الذي يتمثل لافهامنا . اما مبلغ الحرارة المذكور فاذا اردنا ان نمثلهُ للذهن نقول ان ما يصدر منهُ في الثانية الواحدة يعدل ما يصدر عن احد عشر الف الف الف الف الف وستّ مئة الف الف الف الف وسق من الفحم مشتعلة في آن واحد . وهذه الحرارة تكفي لان تُغلي في ساعة الفي الف الف الف وتسع مئة الف الف الف كيلو متر مكعب من الماء في درجة الجليد

اما تركيب الشمس الطبيعي فما لا تسعني الافاضة فيهِ في هذا المقام لانهُ وحدهُ يقتضي محاضرةً [1] برأسها وفضلاً عن ذلك فهو اليوم محلّ بحثٍ جديد بعد اكتشاف الراديوم لكن يكفي ان نقول ان كرة الشمس ليست بجامدة ولا مائعة كما انها لا تُعدّ غازيّةً لان الغاز الذي تتركب منهُ شديد التكاثف وفي حالةٍ طبيعية مجهولةٍ عندنا . وسطح الشمس ليس بمستوٍ ولا منقاد ولكنهُ مؤلفٌ من غيوم حارّةٍ هائلة العِظَم دائمة الحركة ترسل اللهيب في جوٍ من نار فهو لا يشبهُ بأوقيانسٍ مشتعل بل هو اقرب الى منظر الغيوم لمشرفٍ عليها من منطاد او من قمة جبلٍ عالٍ . بيد انهُ اذا قُوبل بين حركة جوّنا وجوّ الشمس لم تُحسَب اشدّ زوابعنا واعاصيرنا الا بمنزلة ابتسامات طفلٍ نائم . فان هناك اضطراباتٍ هائلة تنقذف من بينها

(١) تعريب conférence

قطعٌ من اللهب ترتفع صعُداً الى علوّ مئة الف او مئتي الف كيلو متر ثم تسقط مطراً كهربآئياً على بساطٍ من نار قرمزيّ اللون لا تكون ثخانتهُ اقلّ من خمسة عشر الف كيلو متر فلو سقطت كرتنا في الشمس لذابت وتبخرت في الحال كما تتبخر جالحةٌ من الثلج على الحديد المُحمى

وهنا اقف لأختم هذا المقال وفيما ذكرتهُ كفايةٌ لبيان مكان الشمس بالخصوص ثم لبيان مكان علم الهيئة من الانسانية فانهُ العلم الشريف الذي هو اول وأهمّ العلوم بأسرها والذي لولاهُ لجهلت الانسانية الحيز الذي تشغلهُ من العالم ولكنا غائصين في ظلمات الضلالة

واخيراً فاني اغبط اجتماعنا هذا المعقود من اشهر علمآء الهيئة واحيّي هذا البرج الذي هو أعلى بنآء في الارض تراقَب منهُ القوى الجويّة التي منها نتنفس ونحيا واشكر للمسيو ايفيل ضيافتهُ الكريمة في هذه الليلة واتمنى لهذا البرج اطول بقآء يبقاهُ امثالهُ لتطول منفعتهُ في خدمة العلم وتوسيع نطاقهِ . انتهى

دقيق اللبن

من المعلوم ان اللبن من افضل الاغذية وأهمّها وأشيَعها الا انهُ من اكثرها خطراً على الصحة واقربها الى الاستحالة والفساد ولذلك لم يزل جهد ارباب علم الصحة مصروفاً الى درء مضارّهِ وتخليصهِ من كل ما يلحقهُ من الآفات حتى يكون غذآء صالحاً لا ضرر منهُ ولا خوف على متناولهِ

وقد علم ان معُظَم ما يعرض لهُ من الفساد مسببٌ عما يشتمل عليهِ من

الرطوبة المآئية التي تجعلهُ صالحاً لان يكون مرتعاً للجراثيم المرضية المنتشرة في الهوآء ومحلاً لتوالدها بحيث انهُ عوض ان يكون غذآء ناجعاً سهل الهضم سريع التمثل في الجسم يصير سمّاً ناقعاً مهيئاً للامراض الوبيلة والعلل القتالة . ولذلك كان افضل ما يعالَج بهِ لاتقآء مضارّهِ ازالة ما فيهِ من المآء وتصييرهُ الى الجفاف التام وقد زاولوا في ذلك عدّة طرائق الى ان وُفّقوا اليهِ في العهد الاخير على وجهٍ امكن بهِ تحويل اللبن دفعةً واحدة من كونهِ مائعاً الى كونهِ جامداً بحيث يفقد كل ما فيهِ من المآء في اقلّ من لحظةٍ بدون ان يفقد شيئاً من خواصّهِ

اما الجهاز الذي يتم فيهِ هذا التحويل فانهُ مؤلف من اسطوانتين جوفاوين قطر الواحدة منهما ٧٥ سنتيمتراً في طول متر و٥٠، مركبتين في حامل من الحديد الواحدة بجانب الاخرى وبينهما عُشرا المليمتر وفوقهما انآءٌ كالصندوق يُجعَل فيهِ اللبن . والاسطوانتان تداران بآلةٍ بخارية الواحدة الى عكس جهة الاخرى ويتصل بمحوريهما انبوبان يتصلان من طرفيهما الآخرين بمرجل الآلة البخارية فيدخل منهما البخار الى جوف الاسطوانتين فتسخنان الى ان تبلغ حرارتهما ١٢٠ درجة

وانآء اللبن مجهز بحيث ان اللبن يسقط منهُ على الاسطوانتين في اثنآء دورانهما بشكل خيوطٍ دقيقة في الغاية تتبخر حالما تمسّ الاسطوانتين فتكسوهما بشبكةٍ رقيقة من اللبن الجاف . وثمّ سكين تكشط اللبن الذي عليهما فيسقط على منخل موضوع تحت الآلة وينزل منهُ دقيقاً ناعماً جافاً اشبه بدقيق الحنطة فيؤخذ ويُجعَل في اوعية ويُحفَظ الى حين الحاجة .

وهذه الصنعة شائعة اليوم في اكثر بلدان اوربا واميركا ولها معامل كبيرة يُصنَع فيها هذا الدقيق ويوزَّع منها الى سائر الجهات

اما طريقة استعماله فيُوضَع ما يراد منهُ في وعآء ويضاف اليهِ المقدار اللازم من المآء مسخَّناً بين ٦٠ و٧٠° من المئوي (السنتغراد) فيرجع لبناً من اجود اللبن متضمناً لجميع صفات اللبن الطريّ ويزيد عليهِ انهُ يكون معقَّماً اي خالياً من الجراثيم الحية التي تتولد في غيرهِ على ما ثبت ذلك فيهِ بالاختبار الفعليّ . على ان وجود هذه الجراثيم فيهِ مما لا يحتمل لانهُ لبنٌ جافٌّ لا تدخلهُ الرطوبة الا في حال ما يراد تناولهُ ولا يتعرّض لشبهة الخطر الا اذا تُرِك حيناً مكشوفاً على حدّ غيرهِ من سائر المائعات التي بمباشرتها للهوآء تكون عُرضةً لان تخالطها الجراثيم المتطايرة فيهِ . وفضلاً عن ذلك فانهُ بابلاغهِ حين التجفيف الى ١٢٠° من الحرارة لا يبقى فيهِ شيءٌ من الجراثيم حيًّا فهو عند تحويلهِ الى دقيق يكون معقَّماً تمام التعقيم . وقد حللهُ الدكتور ماجيل قيّم مُختبَر كرنجي في نيويرك وحللهُ بعد ذلك جماعةٌ من علمآء فرنسا فوُجد فيهِ نفس الجواهر التي يشتمل عليها اللبن الطريّ بطبيعتها ومقاديرها من غير ان يعرض عليهِ ادنى نقص يمكن ان يسببهُ ارتفاع الحرارة

وكذلك ثبت بالفحص البكتيريولوجي خلوّ هذا الدقيق من كل نوعٍ من الجراثيم وانهُ يمكن حفظهُ الى ما شآء الله . وقد حُلِّل في مُختبَر كرنجي نحواً من ٤٠٠ مرة واختُبِر على وجوهٍ مختلفة ادّت كلها الى تحقيق ما ذكر وفي جملة تلك الوجوه انهم ادخلوا على اللبن قبل احالتهِ الى دقيق ضروباً من الجراثيم المرضية كجراثيم السلّ وغيرهِ فخرج الدقيق معقَّماً لا شيءَ فيهِ

من تلك الجراثيم

ثم انهم لتحقق سلامة هذا الدقيق من كل مادةٍ مؤذية رأوا قبل عرضهِ لاستعمال الجمهور ان يختبروهُ في غذآء الاطفال فامتحنوهُ في ٨٥٠ طفلاً من عمر سنتين فما دون الى خمسة ايام غذوهم من هذا اللبن مدة اربعة اشهر بدون ان يخالطهُ طعامٌ آخر وبعد المدة المذكورة وُجدوا جميعهم في صحةٍ كاملة وقد ازداد وزنهم زيادة مطّردة

وفضلاً عن ذلك فقد حقَّق بعض الاطباء ان هذا اللبن لا يتحول في المعدة الى كتلةٍ ضخمة كما هو الحال في لبن البقر الطبيعي ولكنهُ يتحول الى حُبيباتٍ اشبه بما يتحول اليهِ اللبن الآدمي وهذا ولا ريب مما يسهّل هضمهُ كثيراً

وعلى الجملة فان اللبن المتخذ على هذه الطريقة افضل بما لا يقاس من اللبن الطريّ فان فيهِ عدة مزايا لا توجد في ذاك . منها سلامتهُ من شبهة الجراثيم المرضيَّة وانهُ يمكن حفظهُ مدةً طويلة بدون ان يلحقهُ ادنى فساد ويستطاع نقلهُ الى ابعد مسافة وانهُ يتخذ في اوقات اللزوم على قدر اللزوم الى غير ذلك مما لا نطيل بتعدادهِ فلا يبقى فيهِ ما يُخشى الا امرٌ واحد وهو غش المقلدين الذين لا يراقبون وجه الله ولا يهمهم الا استنزاف اموال العباد ولو عوَّضوهم منها السموم المهلكة وجعلوها ثمناً للموت الزؤام

متفرقات

شجرة الخبز ـ هي من نبات الهند وجزائر السند وتوجد في جزيرة فرنسا وجزيرة بوربُون واميركا الاستوآئية وغيرها. وهي شجرة كبيرة غليظة الساق يبلغ ارتفاعها من عشرة امتار الى ستة عشر متراً واغصانها كثيرة منبسطة يشبه مجموعها من اعلاها قبَّةً مستديرة واوراقها مشرَّفة الجوانب يبلغ طولها متراً في مثل نصفهِ عرضاً.



وثمرها مدملك في حجم رأس الرجل ولونهُ اصفر الى الخُضرة وقشرتهُ غليظة مفصَّصة كما تراها في الرسم ولهُ لُبابٌ ابيض متماسك دقيقيّ القوام يقتات منهُ سكان بولينيزيا معظم ايام السنة . وهم يقطّمونهُ اقراصاً ويشوونهُ على الجمر او ينضجونهُ قطعةً واحدة في الفرن واذ ذاك يكون طعمهُ شبيهاً بطعم خبز الحنطة يمازجهُ شيء قليل من طعم الخرشوف. ويتخذون منهُ ضرباً من العجين يختمر فيدّخرونهُ ويقتاتون بهِ بعد انقضآء اوان الثمر . وهو انما يصلح لذلك كلهِ قبل النضج وهو الوقت الذي يُجنى فيهِ فاذا تُرك حتى يتمّ نضجهُ اصبح لبابهُ هلامياً تشوبهُ حلاوةٌ قليلة واذ ذاك يسرع اليهِ الفساد فلا يصلح للادّخار

الخيل بالمناظير - رأينا لبعضهم بحثاً في امر خيل العربات و بيان الاضرار التي تنشأ عن وضع الحُجُب بازآء عيونها وهي هذه القطع من الجلد التي تُجعَل على جانبي العينين . قال وقد اجتهد كثيرون في ابطالها فلم يفلحوا لانها فيما زعموا تقي عيون الخيل من وقع السياط وتضطر الفرس ان ينظر الى الامام دون الجانبين فيكون اطوع واسهل انقياداً ولا سيما اذا كان جفولاً

غير ان نظر الفرس من طبيعتهِ ليس موجهاً الى الامام كنظر الانسان ولكنهُ ينظر الى جانبيهِ والى الورآء فاذا وُضعت لهُ الحجب لم يسعهُ ان ينظر الا الى الامام وحينئذٍ يبصر الاشباح من جانب عينهِ فتظهر لهُ ناقصةً غير واضحة وهذا هو السبب في انك تجد كثيراً من الخيل تتخوف من ادنى صوت تسمعهُ لانها لا تستطيع ان تتحقق المرئيات ومنها ما لا يعرض عليهِ التخوُّف الا بعد ان توضع لهُ الحجب بحيث ان اكثر الخيل التي تجفل لا يكون سبب ذلك فيها الا ما ذُكر

وللحُجُب آفاتٌ أُخَر منها انها تسبب التهاباً في عيون الخيل وقد يحدث عنها احتقانٌ دماغيّ بسبب انحصار اشعة الشمس على العين . وهي تزيد في ثقل العذار واذا طالت مدة استعمالها قلقت في مكانها حتى انها قد تلطم اجفان الحصان في اثنآء حركاتهِ وتجرحها . انما النفع الوحيد الذي يمكن ان يُعزى اليها هو وقايتها للعين من سوط الحوذيّ على انها لو رُفعت لاستطاع الحصان ان ينظر الى خلفهِ وجانبيهِ وحينئذٍ يمكن ان يُستحثّ بمجرَّد التهويل عليهِ بالسوط فيُستغنَى عنها

ومع ذلك فاذا لم يكن بدٌّ لبعض الناس من استخدام الحجب اما

اتباعاً للزيّ او لوقاية عيون الخيل من السوط فقد اخترع بعض صنّاع الالمان حجباً شفافةً تمكّن الحصان من ان ينظر الى جانبيهِ فهي ضربٌ من المناظير على حدّ الزجاجات التي يستعملها الناس ولا ريب انها افضل من الحجب الجلدية بما لا يقاس وباستعمالها يمكن ان يُنال الغرضان جميعاً

اسئلة واجوبتها

المنصورة ـ اطلعت في الجزء السابع عشر على ما انتقدتم بهِ عبارة لسان العرب في مادة (ف ل و) ونصهُ « وجمع الفلا فليٌّ » على فُعُول مثل عَصًى وعصيّ » ورُسم « عَصًى » هكذا بالياء وصوابهُ بالالف لانهُ من الواويّ . اه . فهل تريدون ان الصواب كون العصى واوية لا غير فلا تُرسَم الا بالالف وانها ليست يآئية فرسمها بالياء خطأ ام ما هو مراد حضرتكم ارجو ان تتكرموا بالجواب ولكم الفضل محمود نجم الدين

الجواب ـ المعروف عند عامّة اهل اللغة والذي تجدونهُ منصوصاً عليهِ في كتب الصرفيين ان العصا واوية وهو ما لا يحتاج الى اثبات لشهرتهِ . بلى لا ننكر ان صاحب لسان العرب حكى عن ابن سيده انهُ سُمع في بعض اللغات عَصَيتهُ بفتح الصاد بمعنى عَصَوتُه اي ضربتهُ بالعصا وانهُ استدلّ من ذلك على ان العصا تكون يآئيةً ايضاً . الا ان هذا ليس بالدليل لجواز ان يكون عَصَيت بالفتح محمولاً على عَصِيت بالكسر من غير نظرٍ الى لفظ العصا ولا سيما وانهُ لا دليل على كون العصا تأتي بالياء اذ لم

يُنقَل في تثنيتها عَصيان ٠ ومهما يكن من ذلك فلا نزيدكم بياناً ان كلامنا هناك انما كان في كتاب لغةٍ كل ما فيهِ ينبغي ان يكون عرضةً للاخذ عنهُ فعلى فرض كون العصا سُمعت بالياء والمعروف فيها الواو فانهُ لا يجوز ان يجرَى فيها الا على الوجه المعروف اللهمَّ الا في ترجمة لفظ العصا نفسها فانهُ يُذكَر هناك ما سُمع فيها من اللغات فترسَم بحسبها. وهذا ايضاً تجدونهُ غير مراعًى هناك لانها ترسم تارةً بالالف حيث يلزم ان تكون بالياء وتارةً بالعكس كما يتبين لكم من تصفح الموضع المذكور

وبقي هنا تسميتكم ما اوردناهُ عن لسان العرب انتقاداً لعبارتهِ ونحن لم نوردهُ على سبيل الانتقاد ولا دخل لهُ في عبارة لسان العرب وانما هو تصحيحٌ لروايتهِ وتخليصٌ لها من اغلاط النساخ فان صح ان يسمى انتقاداً فهو انتقاد على الناسخ او المصحح لا على المؤلف كما يستدركهُ المتامل بادنى روية

آثار ادبيّة

علم قرآءة اليد ـ اطرفنا حضرة الاديب نجيب افندي كاتبة رئيس القلم الافرنجي في السكة الحديدية السودانية بنسخةٍ من مؤلَّفٍ لهُ بهذا العنوان وموضوعهُ الاستدلال باشكال اليد وخطوط الراحة والاصابع على اخلاق الانسان واهوآئهِ وما يتفق لهُ من الحوادث في حياتهِ. وهو ولا ريب مبحثٌ غريب ولا سيما فيما يتعلق بالحوادث المذكورة وقد مثّل لهُ المؤلف برجلٍ ذهب ليلاً لزيارة صديقٍ لهُ فبينا هو في بعض الطريق مرّ الى جانب جدار فانقضّ الجدار عليهِ وحطم ساقهُ ٠ فذكر ان لهذا الحادث دليلاً في كف

الرجل ينبئ بحقيقة ما حدث لهُ وان هذا الدليل كان في كفهِ قبل وقوعهِ بحيث لو فحص كفهُ قارئ الايدي لانذرهُ بحدوثهِ وقد علَّل صحة امكان ذلك بما غُمَّ علينا فهمهُ ولا مجال هنا للبحث فيهِ . اجل اننا لا ننكر ان لقوى الدماغ تأثيراً في اشكال بعض الاعضآء ولا سيما اعضآء الرأس بما تصدق دلالتهُ احياناً على طباع الانسان ومبلغ عقلهِ وهو ما بُني عليهِ علم الفراسة واما الانبآء بما سيقع لهُ من الحوادث استدلالاً بالخطوط التي في يدهِ فهو من الغلوّ في الدعوى والخروج من الجائز الى المستحيل اذ لا يسلَّم بوجود صلةٍ بين الرجل والجدار ولا بين لحظة مرورهِ ولحظة سقوط الجدار حتى لا يجوز ان يتقدم دقيقةً ولا يتأخر دقيقةً فينجو

وعلى كل حالٍ فانَّا نثني على حضرة المؤلف ثنآءً طيباً لما عانى في تأليف هذا الكتاب خدمةً للعلم وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة منهُ عشرون غرشاً مصرياً خلا اجرة البريد

رواية شارل وعبد الرحمن ـ هي رواية تاريخية غرامية تأليف حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشئ الهلال الاغرّ وهي الحلقة الثانية من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وتتضمن فتوح العرب في بلاد فرنسا وما كان من تضافر الافرنج على دفعهم بقيادة شارل مرتيل الى ان اخرجوهم من البلاد . والرواية مطبوعة طبعاً متقناً على ورق صقيل وهي تشتمل على نحو ٢٠٠ صفحة وتباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة منها ١٠ غروش مصرية واجرة البريد غرشان

فكاهات

شباب الربيع
او
من حلب الشهبآء الى اللكام

وردتنا هذه الطرفة الحسنآء من حضرة الالمعي الشاعر الناثر قسطاكي بك الحمصي في حلب فجعلناها مسك ختام السنة قال اعزَّهُ الله

عند ما النور تدلَّى كالسُجوفْ ورمَت ذرّاتُهُ قلبَ الظلامْ
وعرا البذرَ اكمدادٌ كالخسوفْ ونسيم الفجرِ نادى للقيامْ
نَهضَ السائحُ يعدو للسفرْ

ولنَيْسانَ نشاطٌ وجمالْ ليسَ يحكيهِ سوى عصر الشبابْ
وسهولُ الدرْبِ مع تلك التلالْ اصبحتْ من نبتها تحتَ نِقابْ
لم يَدُرْ في وشيهِ فِكرُ بشرْ

فجرى صاحبُنا دونَ الخَبَبْ حائراً من حسن هاتيك النقوشْ
قال ما هذا أدُرٌّ ام ذهبْ ام لآلٍ نُثِرتْ فوقَ عرُوشْ
ام نجومٌ ام ندًى مثل المطرْ

وهو بينا يقطعُ السهلَ الفسيحْ قد حكى بحراً تبدّتْ خُضْرتُهْ
نفَحتْ ريحٌ بها ارواحُ شيحْ ماجَ منها النبتُ تزهو نَضرتُهْ
فهو موجُ النبتِ يجُلَى للبصرْ

وعلى تلك الرُبى النور استبانْ بعد ما أرديةُ الليل انطوَت
مُذْ عروسُ الكون بل حسنُ الزمانْ رَبَّةُ النورِ على العرش استوتْ
وغدتْ تسحبُ اذيالَ الخَفَرْ

عندهذا الارض ُضجّت بالدعآء لمجالي حُسنِها فعلَ شكورْ
وغدت ناشرةً نحو العلآء من بُخار المآء ما يحكي البَخورْ
وتلتْ ازهارُها الحمدَ سُوَرْ

وهو طوراً يرتقي بعض القُلَلْ ثم يطوي تارةً بعض البِطاحْ
ويرى حيناً رُسوماً مِن طَلَلْ فتناجيـهِ بالفاظٍ فِصاحْ
فيرى في نفسهِ بعضَ الضَجَرْ

فعدا حتى رأى بين النباتْ مثلَ برقٍ خالَهُ نورَ قَبَسْ
وتلاهُ صيحـةٌ كالقاصفاتْ اجفلَ الفارسُ منها والفرَسْ
اسفرتْ عن سِربِ طيرٍ قد نَفَرْ

وبدا عِفرينُ[1] في وادٍ خصيبْ ساكناً يُحسَبُ من سرعتهِ
مثلَ مرآةٍ لها ضوءٌ عجيبْ هزَّها في الشمسِ من فزعتهِ
سارقٌ مستترٌ بين الشجَرْ

ورأى للشمسِ في كَبْدِ السما لفحَ قيظٍ لم يَخَلْهُ مُمكنا
قال هـذا اول العمق[2] فما ذا يكون الحال في الصيفِ هُنا
والى ناحيةِ النهر انحدرْ

(١) اسم نهر . (٢) اسم بقعة في تلك الناحية

فاذا في جانب المـآء ميتْ قد غدا نزْلاً لابنآء السبيلْ
قال من فيهِ يقـلْ فهو بخيتْ ثم قاد الطرفَ يأتمُّ المقيـلْ
فيهِ حيناً بعدَ ما الجسرَ عبَرْ

***

حينما هبَّتْ نُسيماتُ المسا وتلاشتْ سوْرةُ الحرّ العظيمْ
وتردَّى الكونُ أثواب الاسى لفِراقِ الشمسِ والبُعـدُ أليمْ
وَحكتْ اذا غربت وجه القمرْ

ظهرَ البدرُ لهُ وجهٌ كئيبْ من محلّ الشمس إبَّانَ الشُروقْ
فحكاها اذ حكتْهُ في المَغيبْ كمُعَزٍّ ولهُ قلبٌ خفُوقْ
وتلاهُ كُلُّ نجمٍ اذ سفَرْ

فعلَتْ وجهَ النباتِ الاخضرِ صفْرَةٌ من نورها المنعكسِ
وعلى العمْقِ الفسيحِ المقفرِ سادَ سُلطانُ سكُون الغلَسِ
فامتطى صاحبنُا المهرَ الأَغرْ

وبدا الأُفقُ لهُ مـدَّ البصرْ قـد حكى روضاً بلونٍ ازرقِ
زهرُهُ من كُلِّ نجمٍ قد زهَرْ جـلَّ ان ينبتَ بينَ الورقِ
او يُدانيهِ ذبولٌ او غيَرْ

او كبحرٍ مُذْ صفا المآءُ بهِ ملأتهُ الجاريات السابحاتْ
ورأينَ البدرَ في مركبـهِ فتوارينَ حيآءً مرسلاتْ
اثرَ الغطس رشاشاً من شرَرْ

قالَ هلْ هذي مصابيحُ الدُجى ام دنانيرُ على وجهِ الرَقيعْ
ام كُرَاتٌ حيرَتْ اهلَ الحِجى ام دُنًى دارتْ بترتيبٍ بديعْ
وكدُنيانا بها خلقٌ بَشَرْ

وهلِ القومُ بها قد علِموا ايُّ ارضٍ ارضنا في الكائناتْ
ام تراهم مثلنا قد رجموا بوجود الخلق في ذي النيّراتْ
وابتغوا ان يكشفوا عمّا استَتَرْ

ورأى في اسفلِ الغورِ دُخانْ وتلاهُ نبحُ كلبٍ من بعيدْ
وجرتْ في أنفهِ ريحُ المكانْ نافخٌ كِبْرِيتها نفحاً شديدْ
فدرى أنْ في قُرَى الحَمّامِ قرْ

فهوى في الارض عن ظهر الجوادْ واشتهى الغُسْلَ ولو في ذا الحميم
فرأى فيهِ من الناس سوادْ جلُّهمْ يبغي الشفا مُضنًى سقيمْ
فاعتلى ظهرَ الُمجلّي ثم فرْ

بعد هذا قد احسَّ الُمرَخاضْ مآءَ نهرٍ ما لهُ صوتُ خريرْ
فاجتلاهُ فاذا ثَمَّ حياضْ جُمعت من ذلك المآءِ الغزيرْ
ليس حَوْلَيها نباتٌ او شجرْ

فسرى والبدرُ في الأُفقِ اعتدلْ يتخطّى جدولاً بعد فَلَجْ
وهو من حينٍ لحينٍ لم يزلْ يتعدّى رُبوةً منذُ الدَلَجْ
تلك برجاً جُعِلت فيما غبَرْ

وتُجاهَ العين طيَّاتُ الأكامْ قد بدَت تحكي رُكاماً من غيومْ
بعضها قد غاصَ في لُجِّ الظلامْ ثمَّ بعضٌ كان في النورِ يعومْ
ذاكَ نورُ البدرِ او نورُ السحَرْ

وترآءى بعد ذا السفحُ لهُ ثمَّ اشباحُ رُعاةٍ وغنَمْ
وصياحُ الديكِ قد اعجلهُ لبلوغِ الخانِ اذ كانَ جزَمْ
ان يُريحَ الجِسْمَ من بعدِ السهرْ

***

ما الذَّ العيشَ عيشَ المرءِ في بُقعةٍ قد جمعتْ كلَّ الجمالْ
من جبالٍ مآؤُها من قرقفِ ومروجٍ ورياضٍ ودِغالْ
واذا اشتى الى وادٍ نفرْ

ونُعيجاتٍ لهُ في سَمنها ولِباها خيرُ مطعومٍ مُقيتْ
ودجاجاتٍ يرى في كِنّها كلَّ يومٍ طارفَ البيضِ شتيتْ
واذا ما شاقهُ اللحمُ نحَرْ

ونباتاتٍ لهُ في زَرْعها بغيةُ العاملِ للربحِ الصريحْ
ولهُ من بعدِ ذا في قَطعها لذَّةُ الآكلِ ذي الجسمِ الصحيحْ
ناعمَ البالِ خليًّا من كدَرْ

لا يرى أيَّانَ ما سار حَسُودْ يُظهِرِ الوُدَّ على بغضٍ كمينْ.
او لئيمَ الطبع مكَّاراً كنودْ يتحامى شرَّهُ في كلِّ حينْ
او عدوًّا او كذوباً مُحتقرْ

او جهولاً ساحباً ذيلَ الغرورْ   يحسبُ الدنيا لهُ قد خُلقتْ
يتباهى بفسادٍ وفجورْ   زاعماً قرينتهُ قد رُزقتْ
من ذكا افكارهِ عِلمَ البشرْ

او نظامَ الشمسِ مملوكاً رقيقْ   ما لهُ شُغلٌ سوى خدمتهِ
فهي لا تطلعُ الاَّ اذ يُفيقْ   والدراري قُمنَ في رقدتهِ
سُرُجاً تُطفا اذا الصبحُ انفجرْ

او كأنَّ الكهربا قد قُدحتْ   عن بُريقٍ لاحَ من ضوءِ سناهْ
وتمنَّى إيدِسُنْ لو سنحتْ   لسما آرآئـهِ فيما اتاهْ
خطَراتٌ منهُ مرّت بالفِكَرْ

او علومَ الطبِّ نالتْ كلَّ ما   يتمنَّى من شفآءِ العِللِ
مذ حباها من نداهُ بعضَ ما   يرتئيـهِ من مُصُولِ الحِيَلِ
وغدا السلُّ حديثاً او عِبَرْ

او كأنَّ الجذبَ قد افضى الى   علمهِ بالسرِّ دونَ العالمينْ
او كأنَّ الكيميا وقفٌ على   حَدْسِهِ اذ حلَّ لُغزَ الاقدمينْ
فاحال الصفُرَ تِبْراً مُختبرْ

او كأنَّ البدرَ من طلعتـهِ   قد غدا مكتسباً بعض الجمالْ
او كأنَّ الشمسَ عن قُدرتهِ   اصبحتْ قائمةً في ذا الجلالْ
والنجومُ امتثلتْ ما قد أَمرْ

اين حال القانع الساكن في مثل هذا الجبلِ القَهْبِ الأَريضْ
وبذاك الوصفِ منهُ يكتفي زاهداً في المال والجاه العريضْ
من حريصٍ ساكنٍ بين الحضرْ

ولهُ من ذا الهوا مُطلقهُ ومن الطيرِ مُغنٍّ ونديمْ
ومن المآء لهُ ريقهُ ومن الوحشِ انيسٌ وحميمْ
ومن الاشجار جارٌ قد خفرْ

ليس من باغٍ ولا عادٍ ولا عائثٍ في رزقهِ كيف ذهبْ
واذا ما ملَّ احياناً تلا في كتابِ الكونِ ما يُولي طرَبْ
واغتنى عن كلِّ اصنافِ البشرْ

***

عند ما قد ايقظتْ شمس الضُحَى بطلَ الرِحلَة مِن رَقْدَتهِ
شاهد السفحَ رياضاً والهنا يخدم القاطنَ في وحدتهِ
وخريرُ المآء للهمّ زَجرْ

فمضى يَذكُرُ بيتاً زانَهُ فيلسوفُ الشعرِ في ماضي الزمانْ
آدمٌ سنَّ لكم عِصيانَهُ فنأَيتم مثلَهُ عن ذي الجِنانْ
يا بنيهِ وبكم حلَّ القَدَرْ

وجرى ممتطياً سرجَ السَبُوحْ وهو يرقى في إِكامٍ وهضابْ
تارةً للعينِ تبدو او تلوحْ قِمَّةٌ تنطح اكناف السحابْ
ثم تخفى لا يُرى منها أَثرْ

ويرى اودية ان شامها سيدُ الطيرِ تولاّهُ الهلعْ
أنبتتْ آجامُها اهرامَها وجرى المآء اليها واندفعْ
غيرَ هيّابٍ عظيماً فانكسرْ

ثم القى نظرةً فوقَ السهولْ فرأى العمقَ كبُسْطٍ او رِقاعْ
الف شكلٍ هندسيٍّ بأُصولْ خطّهُ المحراثُ في تلكِ البقاعْ
عادَ اقليدُسُ عنهُ في حَصَرْ

وجرى في فكرهِ ما قد جرى من دَمِ الانسانِ في تلك الوِهادْ
ثم اغفى لحظةً فيها سرى طيفُ مَن طبّق اطرافَ البِلادْ
حاكِمُ الشهبآء فيما قد غبرْ

ذاك سيفُ الدولةِ القرْمُ المَجيدْ افعم العمقَ بمُهراقِ الدمآء
كم لهُ من وقعةٍ كان يُجيدْ وصفَها قائدُ جيش الشعرآء
متنبّي الشرقِ بل ربُّ الغُرَرْ

ورأى مِن خلفهِ دارا يَسيرْ بجُيُوشٍ ملأتْ تلكَ الجِهاتْ
يحسبُ النصرَ مع الجمعِ الكبيرْ لم يَدُرْ في فِكرهِ انَّ الثباتْ
وصوابَ الرأيِ عُنوانُ الظفَرْ

ثم كانت لَفتةٌ منهُ الى أشمُلِ الشاهقِ من تلكَ الجبالْ
فرأى ربَّ الفتُوحاتِ اعتلى قُلّةً في عَسكرٍ صلْبِ النزالْ
يخدَعُ الفُرسَ بتدبيرٍ بهَرْ

قالَ ذو القرنينِ يا قوم اثبُتوا لا تهولنَّكمُ كثرتُهمْ
سوفَ تُلفونهمُ قد كُبِتوا ليسَ تُغني عنهمُ عِدَّتُهمْ
لا ولا يُرهَبُ الا مَن قدَرْ

عرَّ دارا قِلّةُ الأعداءِ في ذلكَ المعقِلِ فاختارَ الهُجومْ
صافُ الانسانِ بدءُ التلفِ مُستَخِفُّ الضدِّ مذمومٌ ملومْ
وفطيرُ الرأيِ محرومُ الوطَرْ

مذ رأى اليونانُ من تلك الجبالْ فيلقَ الفُرسِ تصدّى للصعودْ
رشقوهُ بحِجارٍ ونِبالْ فبدا الرُّعبُ بهاتيك الجنودْ
وفريقٌ بفريقٍ قد عثرْ

ثم قامَ الهَرْجُ واشتدَّ الجِلادْ وعلا العجُّ الى السبعِ الطباقْ
وملا النقعُ الفيافي والنِجادْ ومجالُ الدفع بين الفُرسِ ضاقْ
فرأوا إدبارَهم رأسَ الحذَرْ

وتلا دارا علاماتِ الفشَلْ في عيونٍ ونفوسٍ خائرةْ
ودرى الوابلَ من بعد الوشَلْ وعليهِ ستدورُ الدائرةْ
فتولّى هارباً من ذا الخطَرْ

فاقامَ الويلُ في تلك الجيوشْ هولَ آثارٍ بها تُشجى العيونْ
منظراً قد فرِقتْ منهُ الوحوشْ وغدا عاراً على مرِّ القرونْ
يرسم الانسانَ في شرِّ الصوَرْ

جُثثُ القتلى على ذاك الصعيدْ ستَرتْ نضرةَ ذيّاك النباتْ
كلُّ ذي روحٍ غدا مثل الحصيدْ وتساوى الكلُّ في شرعِ المماتْ
ودمُ المخلوقِ كالمآء انهمَرْ

* * *

ومضى من ثمَّ ذاك السائحُ يترقّى في معاريجِ الجبَلْ
تارةً يُشجيهِ طيرٌ صادحُ ثمّ يستوقفهُ هدْرُ جمَلْ
او نعيقٌ او غزالٌ قد نفَرْ

ورأى اذ كان في بعض الهضابْ غابةً قد اشبهتْ صرحاً بديعْ
بسقتْ ادواحها حتى السحابْ وجلَتْ أفنانُها سقفاً رفيعْ
بعقودٍ تزدري عقدَ الحجَرْ

أذِنَتْ للشمسِ فيهِ بالدخولْ واحلّتْ للهوا فيهِ المسيرْ
وبهِ عينٌ لها شرحٌ يطولْ وعلى اغصانهِ القُمْرُ تطيرْ
وهي تشدو حمدَ مَن فاق الفكرْ

قال هذي جنّةٌ قد حُجبتْ عن عُيونِ الإنسِ من بضعِ دُهورْ
غرستها يدُ مولًى كتبتْ قد جعلناها مقاماً للطُيورْ
فهي لم تأثمْ ولم تذرِ الضرَرْ

اين من هذا قصورُ الأُمرا وَبيوتُ الناسِ في كلِّ البلادْ
خيَّم الشرُّ بها لمّا سرى كلُّ مكرٍ في حماها وفسادْ
تلكَ والحقِّ لقد أمستْ سقَرْ

ليتني قد كنتُ عُصفوراً ولي نصفُ وَكرٍ في اعالي الشجرِ
ليسَ لي غير اُستماعِ البُلبُلِ واشتغالي بلذيذِ الثمرِ
عن سماعِ الإفكِ او شيءٍ أمرّ

ورأى الشمس الى الغرب هوَتْ فأغذَّ السيرَ في تلك القمَمْ
يتملّى كلَّ حسنٍ قد حوَتْ وهوَ يرقَى علَماً بعدَ علَمْ
لبُلوغِ القصدِ من هذا السفرْ

فاذا بالبحرِ قد بانَ لهُ مالهُ في الارضِ من شبهٍ عظيمْ
وبأقصاهُ بدا ما هالهُ اذ رأى الشمس لها وجهٌ سقيمْ
تستغيثُ الخلق في دفعِ الخَطَرْ

ورآها هبطَتْ فوقَ العُبابْ مثلَ عصفورٍ امامَ الأفعُوانْ
ثمَّ عجَّ الموجُ يعلو كالهضابْ لأبتِلاعِ الشمسِ في بِضعِ ثوَانْ
يا لبُركانٍ بحرٍ قد فغرْ